

الجرذ والغراب

لَمَّا رَأَى الْغُرَابُ مَا صَنَعَتْ الْجُرَذُ مَعَ الْحَمَامَةِ الْمَطْوُوعَةِ
وَأَصْدِقَائِهَا مِنَ الْحَمَامِ ، وَكَيْفَ خَلَّصَ الْجَمِيعَ مِنْ أَسْرِ
الشَّبَكَةِ ، أَبْدَى إعْجَابَهُ الشَّدِيدَ بِالْجُرَذِ ، وَرَغِبَ فِي مُصَادَقَتِهِ ..
وَلِذَلِكَ تَقَدَّمَ الْغُرَابُ ، حَتَّى وَقَفَ قَرِيبًا مِنْ لُفْحَةِ الْجُحْرِ الَّتِي
يَعِيشُ فِيهَا الْجُرَذُ .. ثُمَّ نَادَاهُ ..
وَأَطْلُ الْجُرَذُ مِنْ أَسِيرِهِ ، فَلَمَّا رَأَى الْغُرَابُ وَاقِفًا أَمَامَهُ ، أَبْدَى
رَهْشَةً قَاتِلًا :

مَنْ أَنْتَ ؟ وَمَاذَا تُرِيدُ ؟

قَالَ الْغُرَابُ :

أَنَا وَاحِدٌ مُعْجَبٌ بِإِخْلَاصِكَ لِي
وَأَسْقَائِكَ ، وَلِذَلِكَ فَأَنَا
أُرِيدُ مُصَادَقَتَكَ ..



فَنَقَرَ إِلَيْهِ الْجُرَدُ مُتَشَكِّكًا وَقَالَ :
- لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَوَاصُلٌ ، حَتَّى تَنْشَأَ بَيْنَنَا صَدَاقَةٌ ، كَمَا
تُرْعَمُ ..

فَقَالَ الْغُرَابُ مُسْتَعْكِرًا :

- وَلَيْمَ ذَلِكَ ؟

فَقَالَ الْجُرَدُ :

- لَأَنَّ الْعَاقِلَ يَجِبُ أَنْ يَسْعَى إِلَى مَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَيَتَنَعَّدُ
عَمَّا لَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، فَأَنْتَ الْاَكْلُ وَأَنَا طَعَامٌ وَهَنِيذٌ سَهْلٌ لَكَ ..
لَا بُدَّ أَلَيْكَ فَحَتَّى الْبُحَى تَأْكُلَنِي ..



فَتَعَجَّبَ الْغُرَابُ مِنْ تَفَكُّيرِ الْجُرَذِ وَقَالَ :

- إِنَّ أَكْلِي إِيَّاكَ لَنْ يُغْنِيَ عَنِّي شَيْئًا ، وَإِنْ مَوَدَّتْكَ وَصَدَّقَتْكَ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ .. وَلَيْسَ مِنَ الْكَرَمِ أَوْ الْحِكْمَةِ أَنْ تَرَكُنِي خَالِيًا ، خَاصَّةً
وَأَنْتَى رَأَيْتَ مِنْ حُسْنِ خَلْقِكَ ، وَجَمِيلِ فِعَالِكَ مَا حَبَبَكَ إِلَيَّ ، وَرَغْبَتِي
فِيكَ ، فَجِئْتُ أَطْلُبُ صَدَاقَتَكَ ..
فَقَالَ الْجُرَذُ :

- وَمَاذَا رَأَيْتَ مِنِّي ، حَتَّى تَسْعَى إِلَى طَلْبِ صَدَاقَتِي ؟

فَقَصَّ عَلَيْهِ الْغُرَابُ مَا رَأَاهُ مِنْ قَرَضِهِ الشَّبِيخَةَ ، وَتَحْلِبِصِهِ الْحَمَامَةَ
الْمَطْوُوقَةَ وَرَفَاقَتَهَا مِنَ الْأَسْرِ ، وَخَتَمَ كَلَامَهُ قَائِلًا :

- وَإِنْ أَرَدْتَ إِخْفَاءَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يُخْفِي لَفْظَهُ ، وَإِنْ حَاولَ
إِخْفَاءَهُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ كَالْعَطْرِ
وَالْبَحْتَةِ الذَّكِيَّةِ ..



فَقَالَ الْجُرَدُ :

- إِنَّ الْعَاقِلَ يَجِبُ الْإِيَّاسَ إِلَى عَنُومٍ ، خَاصَّةً إِذَا كَانَ ذَكِيًّا مِثْلَكَ ..
وَقَالَ الْغُرَابُ :

- يَجِبُ أَنْ تُدْرِكَ بِعَقْلِكَ أَنَّي مَا جِئْتُ لِبَعْدَاوَتِكَ ، وَلَا أَقْصَدُ سِوَى
مَطْلَبٍ وَذَلِكَ وَصَدَّقْتَنِي ، فَلَا تُرَدُّنِي خَائِبًا ، وَلَا تُصْنَعِبْ عَلَيَّ الْأَمْرَ
بِقَوْلِكَ : لَيْسَ إِلَى التَّوَاصُلِ بَيْنُنَا مِنْ سَبِيلٍ ..
فَقَالَ الْجُرَدُ :

- وَمَا الدَّكِيلُ عَلَى صَبْرٍ مَا تَقُولُ ؟

فَقَالَ الْغُرَابُ :

- إِنَّ الْكَرِيمَ يَسْعَى إِلَى مُصَادَقَةِ الْكَرِيمِ وَمَطْلَبِ مُؤْنَتِهِ ، وَاللُّكِيمِ



لَا يُصَادِقُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ أَجْلِ مَنَافَعَةٍ أَوْ مَصْلَحَةٍ أَوْ خَوْفٍ مِنْهُ ،
حَتَّى يَتَّقِيَ شَرَّهُ وَعِدَاوَتَهُ ..

فَقَالَ الْجُرُذُ :

- هَذَا صَنَحِيحٌ ..

وَقَالَ الْغُرَابُ :

- مَا دُمْتُ تَعْلَمُ ذَلِكَ ، وَتَصْبِرُ عَلَى رَفْضِ صَدَاقَتِي ، فَأَنَا مُلَازِمٌ
لِيَابِكَ ، دُونَ أَنْ أَذُوقَ طَعَامًا ، حَتَّى تُخْبِرَنِي أَنَّكَ قَبِلْتَ صَدَاقَتِي
وَمَوَدَّتِي ..

فَلَمَّا رَأَى مِنْهُ الْجُرُذُ ذَلِكَ ، عَلِمَ أَنَّهُ صَادِقٌ ، فَقَالَ لَهُ :

- لَعْدُ قَبِلْتُ أَخْوَتَكَ وَصَدَاقَتَكَ ..

وَقَالَ الْغُرَابُ :

- وَلَكِنْ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُقْبِلَهَا مِنَ الْبِدَايَةِ ، حِينَ عَرَضْتُهَا عَلَيْكَ ؟



فَقَالَ الْجُرَدُ :

- إِنَّمَا بَدَأْتُكَ بِمَا بَدَأْتُكَ بِهِ مِنْ صَنْدٍ ، حَتَّى

لَا تَخْلُتَنِي سَهْلًا سَرِيعَ الْإِخْدَاعِ فِي الْعَاسِ ، وَإِنْ أَنْتَ عُدَّتْ بِي
بَعْدَ ذَلِكَ ، لَا تَقُولُ : لَقَدْ وَجَدْتُ الْجُرَدَ غَيِّبًا سَادِّجًا ، سَرِيعَ الْإِخْدَاعِ ،
سَهْلًا صَنِيدًا ..

وَخَرَجَ الْجُرَدُ مِنْ جَحْرِهِ ، لَكِنَّمَا ظَلَّ وَاقِفًا عِنْدَ الْبَابِ ، يَتَعِيدًا عَنِ
الْغُرَابِ ، فَأَبْدَى الْغُرَابُ ذَهْنَهُ قَائِلًا :

- مَا الَّذِي يَجْعَلُكَ تَقِفُ يَتَعِيدًا عَلَيَّ هَكَذَا ؟ هَلْ مَا زَالَ فِي نَفْسِكَ
مِمِّي خَوْفٌ وَشَكٌّ ؟

فَقَالَ الْجُرَدُ :

- لَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْإِقْتِرَابِ مِمَّنْ سَوَاءُ ظَنُّكَ . أَوْ شَكُّكَ فِي نَوَائِكَ
الطَّيْبَةِ بَحْوَى . وَإِنَّمَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنَّنِي أَظُنُّ أَنَّكَ لَكَ اصْتِدْقَاءٌ ،
وَقَدْ لَا يَكُونُ رَأْيُهُمْ مِثْلَ رَأْيِكَ فَيَ .. رُبَّمَا كَانَتْ لَهُمْ أَنْفُسٌ أَمَارَةٌ
بِالسُّوءِ . وَهَذَا مَا أَخَشَّنَا عَلَى نَفْسِي ..



فَضَحَكَ الْغُرَابُ مِنْ حَذَرِ الْجُرَذِ وَقَالَ :

- إِنَّ الصُّدِيقَ الْحَقَّ هُوَ مَنْ يَكُونُ لَصَدِيقِ صَدِيقِهِ صَدِيقًا ،
وَلْيَعْدُوْ صَدِيقَهُ عَدُوًّا ..

فَقَالَ الْجُرَذُ :

- صَدَقْتَ .. هَكَذَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الصَّدَاقَةُ الْحَقِيقِيَّةُ ..

وَأَضَافَ الْغُرَابُ قَائِلًا :

- وَلَتَعْلَمُ أَنَّنِي لَيْسَ لِي صَدِيقٌ إِلَّا وَسَيَكُونُ لَكَ صَدِيقًا مُحِبًّا ،
وَأَخًا غَزِيرًا تَفْرَحُ بِهِ ، وَتَأْنِسُ إِلَيْهِ ، وَتَقْرُبُهُ عَيْنُكَ ، وَإِنْ مِنْ فَعَلٍ
غَيَّرَ ذَلِكَ مَعَكَ فَاطْعَنَهُ ..

فَأَمِنَ الْجُرَذُ ، وَتَقَدَّمَ مِنَ الْغُرَابِ مُصَافِحًا .. وَسَعَدَ كُلُّ مَبْنُهَا
بِصُحْبَةِ الْآخَرِ وَصَدَاقَتِهِ ..



وَمَضَتْ أَيَّامٌ ، وَالصَّدِيقَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ الْغُرَابُ لِلْجُرْدِ :

- إِنَّ جُحْرَكَ قَرِيبٌ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ يُصِيبَكَ
بَعْضُ الْأَطْفَالِ بِحِجَرٍ ، وَأَنَا أَغْرِفُ مَكَانًا مُنْعَزِلًا عَنِ النَّاسِ ، وَلِي
فِيهِ صَدِيقٌ مِنَ السَّلَاحِفِ ، وَهُوَ مَكَانٌ قَرِيبٌ مِنْ نَهْرٍ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ
السَّمَكِ ، وَنَحْنُ وَاجِدُونَ هَذَا مَا نَأْكُلُ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَطْلُقَ بِكَ إِلَى
هَذَا ، حَتَّى تَعِيشَ أَمِينٌ ..
فَقَالَ الْجُرْدُ :

- هَيَّا بِنَا إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ،

الَّذِي شَوَّلَنِي إِلَى رُؤْيَا ..
سَتَوَفَّ أَقْصَاهَا

إِنْ عِنْدِي أَقْصَا طَرِيقَهُ
عَلَيْكَ عِنْدَمَا نَصِلُ هَذَا ..



فَأَمْسَكَ الْغُرَابُ صَدِيقَةَ الْجُرَذِ مِنْ ذَيْلِهِ ، وَطَارَ بِهِ فِي الْفُضَاءِ ،
حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ ، الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ صَدِيقَتُهُ السُّلْحَفَاءُ الْبَرِّيَّةُ ..
ثُمَّ أُنْزَلَتْ ..

فَلَمَّا رَأَتْ السُّلْحَفَاءُ الْجُرَذَ قَرَعَتْ مِنْهُ ، لَكِنَّ الْغُرَابَ طَمَأَنَّاهَا إِلَى
أَنْ الْجُرَذَ صَدِيقَةٌ ..

فَتَعَجَّبَتِ السُّلْحَفَاءُ وَسَأَلَتِ الْغُرَابَ قَائِلَةً :
- وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ ، وَكَيْفَ نَعَرْتِ هَذَا الْجُرَذَ ؟

فَقَصَّ عَلَيْهَا الْغُرَابُ كُلَّ مَا حَدَّثَ .. وَلَمَّا سَمِعَتْ السُّلْحَفَاءُ الْقِصَّةَ ،
عَجِبَتْ مِنْ وِفَاءِ الْجُرَذِ وَدُكَّانِهِ ، وَاجْتِهَادِهِ فِي تَخْلِيصِ أَصْدِقَائِهِ
مِنَ الْأَسْرِ .. وَرَحِمَتْ بِهِ صَدِيقًا جَدِيدًا .. ثُمَّ سَأَلَتْهُ قَائِلَةً :

- وَلَكِنْ مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ
أَنْ الْجُرَذَانَ لَا تَعِيشُ فِيهَا ؟



فَتَنَّهُدُ الْجُرَدُ فِي ضَيْقٍ وَقَالَ :

- إِنَّ قِصَّتِي طَوِيلَةٌ وَعَجِيبَةٌ وَسَوْفَ أَقْصِيهَا عَلَيْكُمَا ، كَمَا وَعَدْتُ صَدِيقِي الْغُرَابَ ..

فَقَالَ الْغُرَابُ وَالسُّكَّانَةُ :

- وَنَحْنُ سَتُنْصِتُ بِأَذَانٍ صَاعِغَةٍ ..

وَبَدَأَ الْجُرَدُ يَحْكِي قِصَّتَهُ قَائِلًا :

- كَانَ مَنَزَلِي وَأَنَا صَغِيرٌ ، فِي مَدِينَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ مَدِينَتِكُمُ هَذِهِ ،

وَذَلِكَ فِي بَيْتِ رَجُلٍ نَاسِكٍ مُتَعَبِّدٍ .. وَكَانَ

الْبَيْتُ خَالِيًا مِنَ الْأَهْلِ وَالْأَبْنَاءِ ، فَكَانَ

فِيهِ سِوَى هَذَا النَّاسِكِ الْقَدِيمِ

وَكَانَ النَّاسِكُ يُحْضِرُ كُلَّ

سَكَّةٍ مِنَ الطَّعَامِ ، فَيَأْكُلُ

عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ .. ثُمَّ يَلْقَى



السَّلَّةُ بِمَا فِي الطَّعَامِ عَلَى جِدَارِ فِي الْبَيْتِ ..
 وَكُنْتُ أَطْلُ بِرَأْسِي مِنَ الْجُحْرِ ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْبَيْتِ ، فَأَقْبِرُ
 دَاخِلَ السَّلَّةِ ، وَلَا أَتْرَكُ فِيهَا طَعَامًا إِلَّا أَكَلْتُ مِنْهُ ، ثُمَّ أَرْمِي بِالْبَاقِي عَلَى
 الْأَرْضِ ، فَأَتَاكُلُ مِنْهُ بَقِيَّةَ الْجُرْدَانِ حَتَّى تَسْتَبِقَ ، وَلَا تَتْرَكَ كَسْرَةَ خُبْزٍ ..
 وَكَانَ هَذَا الْأَمْرُ يُضَايِقُ النَّاسَ كَثِيرًا ، فَأَخَذَ كُلُّ يَوْمٍ يَبْحَثُ عَنْ
 مَكَانٍ جَدِيدٍ يُعَلِّقُ فِيهِ السَّلَّةَ بِالطَّعَامِ ، حَتَّى لَا أَصِلَ إِلَيْهَا ، لَكِنِّي
 كُنْتُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَبْحَثُ عَنْ حَبِيلَةٍ جَدِيدَةٍ ، حَتَّى أَصِلَ إِلَى السَّلَّةِ ،
 وَأَسْطَلُّ عَلَى كُلِّ مَا فِيهَا مِنْ طَعَامٍ ، فَأَقْرَعُهُ عَلَى الْجُرْدَانِ ، وَكَانَ
 الْجَمِيعُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ اصْتَبِقَانِي وَأَحْيَانِي ، وَكُنْتُ أَحَبُّ أَصْدِقَائِهِمْ
 إِلَيْهِمْ ..

وَسَعَتْ الْجُرْدُ قَلِيلًا ، وَكَانَهُ تَذَكَّرُ شَيْئًا أَلِيمًا ..
 ثُمَّ قَالَ :



وَذَاتَ لَيْلَةٍ نَزَلَ بِالنَّاسِكِ ضَيْفٌ ، فَقَدِمَ لَهُ النَّاسِكُ الطَّعَامَ ، وَاتَّكَلَ
 مَعَهُ ، حَتَّى شَبِعَا ، فَقَامَ النَّاسِكُ وَغَلَقَ السَّلَّةَ عَلَى الْحَاطِطِ .. ثُمَّ دَارَ
 الْحَدِيثَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ النَّاسِكُ لِضَيْفِهِ : مَنْ أَيْ الْبِلَادِ أَنْبَيْتَ ؟ وَرَاحَ
 الضَّيْفُ يُخَدِّتُهُ عَنْ بَلَدِهِ ، وَالرَّحَلَاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا .. وَكَانَ الرَّجُلُ قَدْ
 طَافَ الدُّنْيَا وَشَهِدَ عَجَائِبَهَا ، وَاسْتَمْتَعَ بِغَرَائِبِهَا .. وَفِي إِثْنَاءِ ذَلِكَ أَخَذَ
 النَّاسِكُ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ ، حَتَّى يَبْعِدَنِي عَنْ سَلَّةِ الطَّعَامِ ، فَغَضِبَ
 الضَّيْفُ مِنْ هَذِهِ الضُّوْضَاءِ ، وَقَالَ مُخَاطِبًا النَّاسِكَ : أَنَا أَخَذْتُكَ عَمَّا
 سَأَلْتُ عَنْهُ ، وَأَنْتَ تَسْتَحْزِرُ مِنِّي وَتُسَوِّسُ عَلَيَّ ؟ لِمَاذَا سَأَلْتَنِي إِنْ
 قَاعْتَدَرَ لَكَ النَّاسِكُ ، بِأَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ .. ثُمَّ قَالَ لَهُ :

إِنَّمَا أَصَفِّقُ بِيَدَيَّ حَتَّى أَخْصِفَ ذَلِكَ الْجُرْدَ ، وَأَبْعِدَهُ عَنْ سَلَّةِ
 الطَّعَامِ .. إِنَّهُ لَا يَتْرَكَ شَيْئًا فِي



فَقَالَ الضَّيْفُ وَالْغَجَبُ يَمْلَأُ وَجْهَهُ : جُرْدٌ وَاحِدٌ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ
 ذَلِكَ ، أَمْ أَنْ هُنَاكَ جُرْدَانًا كَثِيرَةً ١٢
 فَقَالَ النَّاسِكُ : الْبَيْتُ مَلَىءٌ بِالْجُرْدَانِ ، وَلَكِنْ هَذَا الْجُرْدُ الْغَنِيذُ
 هُوَ الَّذِي غَلَبَنِي ، فَعَجَزْتُ أَنْ أَجِدَ لَهُ حِيلَةً ..
 فَاخَذَ الضَّيْفُ يَنْكُرًا قَلِيلًا .. ثُمَّ قَالَ : هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْضِرَ لِي
 فَأَسًا ١٣ فَاخْضَرَّ لَهُ النَّاسِكُ فَأَسًا ..
 وَقَاطَعَةُ الْغُرَابِ قَاتِلًا :
 - وَمَاذَا فَعَلَ الضَّيْفُ بِالْفَأْسِ ١٤



فَقَالَ الْجُرُودُ :

.. أَخَذَ الضَّيْفُ يَحْفَرُ جُحْرِي ، فَفَقَرْتُ إِلَى جُحْرِ جَارِي وَأَخَذْتُ
أَرْقُبًا مَا بَحَثْتُ .. وَبَعَثُ قَلِيلَ عَثَرِ الضَّيْفِ عَلَى كَيْسٍ بِهِ مِائَةُ دِينَارٍ ،
فَأَخَذَهَا وَأَرَاهَا لِلنَّاسِكِ قَائِلًا : هَذَا الْمَالُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَقْوِي قَلْبِي
ذَلِكَ الْجُرُودُ ، وَيَجْعَلُهُ يَقْفُزُ إِلَى سِنَّةِ طَعَامِكَ .. لَقَدْ جَعَلَ لِي الْمَالُ شَوْءًا ،
وَسِتْرِي إِنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ الْقَفْزُ إِلَى سِنَّةِ طَعَامِكَ مَرَّةً أُخْرَى ..
فَقَالَتِ السُّلْحَفَةُ :

.. وَهَلْ حَدَّثَ مَا تَوَقَّعَ الضَّيْفُ ؟



فَقَالَ الْجُرَذُ :

- وَحَدَّثَ مَا هُوَ أَسْوَأُ مِنْهُ ، فِي الْيَوْمِ الثَّالِي اجْتَمَعَتِ الْجُرَذَانِ حَوْلِي - كَمَا كَانَ يُحَدِّثُ مِنْ قَبْلُ - وَطَلَبُوا مِنِّي أَنْ أُحْضِرَ الطَّعَامَ مِنَ السَّلَّةِ ، فَحَاوَلْتُ الْقَفْرَ إِلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ لَكِنِّي فَشَلْتُ ، فَأَخَذَتِ الْجُرَذَانِ تَسَخَّرُوا مِنِّي ، وَانْصَرَفَ الْجَمِيعُ عَنِّي وَهُمْ يَرْدُدُونَ : إِنَّهُ أَصْبَحَ يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَخُولُهُ .. فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ أَعْرَأِ أَصْدِقَائِي تَرَكْتُ بَيْتَ النَّاسِكِ ، وَرَحَلْتُ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي قَابَلَنِي فِيهِ الْغُرَابُ ..

فَقَالَتِ السُّلْحَفَةُ :

- مَرَحَبًا بِكَ صَدِيقًا وَاحِدًا لَنَا ..

(تَمَّتْ)



مجموع القصص : ٣٩٤

القصص القصيرة : ٢ - ٣٤٠ - ٣٩٣